حسن محمد طوالبه

تحالف الشر

بين الصهيونية ونظامي الخميني والأسد

- تحالفات نظام خميني.......................................
- التعاون التسليحي بين تل أبيب وطهران والتحدي الصهيوني -الفارسي.......................................
- مقتربات التلاقي بين طهران وتل أبيب.......................................
- ماذا وراء تحالف دمشق وطهران ....
- لمصلحة من إجراءات نظام أسد ضد العراق.......................................

منشورات الطليعة 1986

تحالف الشر
بين الصهيونية ونظامي الخميني والأسد

1 التعاون التسليحي بين تل أبيب وطهران والتحدي الصهيوني- الفارسي

قبل عدة اشهر كان البعض من العرب يشك في صحة ما نقوله حول التعاون التسليحي الفني بين الكيان الصهيوني والنظام الفارسي، وظل هذا البعض مخدوعا بالشعارات والاقوال التي اطلقها اركان النظام الجديد في ايران عندما تسلموا الحكم عام ١٩٧٩. وقد توهم بعض العرب، ان قوة جديدة جاءت لتقف الى جانب العرب من اجل تحرير فلسطين، وذهب البعض اكثر من ذلك ليعلن ان الطريق الى القدس يمر عبر طهران. وكان هؤلاء- وما زالوا- يجهلون الكثير من حقائق التاريخ، وبالذات التحديات الحقيقية التي تواجه العرب، والقوى التي تقود تلك التحديات لاضعاف العرب وتقسيمهم واضعاف قوتهم. وبعضهم الذي يملأ الحقد قلبه، وما زال يقف الى جانب النظام الفارسي الذي فقد كل مقومات الوجود والبقاء. وبات سبة على كل لسان، في الشارع الايراني ذاته.

وربما يذهب هذا البعض المريض، الى القول بان الحرب قد انهكت القوة الايرانية التي كان مفروضا ان تقف الى جانب العرب!!! ولكن هذا البعض لا يحاول معرفة الاسباب الحقيقية وراء انهيار هذا النظام الجاهل.. وكيف آل الى هذا الوضع المتردي من الداخل. رغم ان اطرافا دولية عديدة وفي مقدمتها الكيان الصهيوني، حرصت على دعم النظام الايراني لادامة عجلة الحرب على

(*) كتب في أيلول ١٩٨١ في جريدة الثورة- بغداد.

الجبهة مع العراق. وقد تم تعويض الجيش الايراني الذي خسر ترسانة الاسلحة منذ الجولة الاولى للحرب عام ١٩٨٠، كما تم تزويده بأصناف جديدة من الأسلحة بغرض ادامة الحرب واضعاف قدرات العراق.

ورغم علم العراق بالاتفاقات الثنائية المباشرة او بالواسطة الا ان النظام الايراني، ومعه اطراف عديدة ظل ينفي ذلك، الى ان جاءت حادثة سقوط الطائرة الارجنتينية فوق الاراضي السوفيتية يوم ١٨ تموز ١٩٨١ عندما سقطت الطائرة، وهي في احدى رحلاتها بين تل ابيب وطهران عن طريق مطار لارنكا القبرصي تنقل صفقة اسلحة تم التعاقد عليها بين وسطاء صهاينة وايرانيين في لندن، تتضمن ٣٦٠ طنا من قطع الغيار اللازمة للدبابات تبلغ قيمتها الاجمالية ١٥ مليون جنيه استرليني. وهذه الحقيقة نقلتها اوساط عديدة واضاف عليها شهود عيان او مطلعون على تفاصيل الصفقة:-

ففي يوم ٢٦ تموز اكدت صحيفة «صندي تايمز» البريطانية ان الطائرة الارجنتينية التي تحطمت فوق الاراضي السوفيتية كانت تقوم بثالث رحلة لها من بين اثنتي عشرة رحلة لتسليم اسلحة اميركية مرسلة من «اسرائيل» الى ايران. وذكرت الصحيفة البريطانية ان الرجل المكلف بتسليم هذه الاسلحة هو شخص اسكتلندي يبلغ ٣٨ من العمر ويدعى «ستيوارت الين ميناثيرتي» وقد لقي مصرعه عندما تحطمت الطائرة في منطقة ارمينيا السوفيتية. وقالت بان هذه المعلومات اخذتها من صديق «ستيورات» السمسار السويسري «اندرياس جيني». وذكر انه تم تسليم الشحنات الثلاث ايام ١٢، ١٤، ١٧ تموز.

• وفي يوم ٢٧ تموز اعلن راديو العدو الصهيوني ان تاجر السلاح السويسري «جيني» سيستمر في نقل السلاح وقطع الغيار من تل ابيب الى طهران، واعلن التاجر انه تلقى مبلغا مقدما مقداره ٦٠٠ الف دولار مقابل دوره هذا.

● اما صحيفة (لوفيغارو) الفرنسية فقد نشرت معلومات اضافية كشفت اسراراً جديدة في مجال التعاون الصهيوني الفارسي فقالت ان التعاون بدأ مع بداية الحرب العراقية- الايرانية، اذ كانت ايران بحاجة ملحة الى الاسلحة وقطع الغيار من اجل مواصلة معاركها ضد العراق.

وقد كان لرجال المصالح الايرانيين في عهد الشاه والذين لم يشملهم قمع رجال الدين دور في ابرام هذه الصفقة وهم الذين قاموا بهذه الخدمة لخميني مستغلين روابطهم القديمة مع «الاسرائيليين» وقد تمت الصفقة بين رجال المصالح الايرانيين واعضاء من شركة «اسرائيلية» تعمل في بريطانيا.

● اكدت مجلة قبرص الاسبوعية يوم ٢٤- ٧ ان الطائرة الارجنتينية التي تحطمت كانت تقوم بنقل الاسلحة من تل ابيب الى طهران، ونقلت عن احد المسؤولين في مديرية الطيران القبرصي ان الطائرة قامت بأربع رحلات عن طريق قبرص.

● محطة التلفزيون الامريكي سي بي اس اس كشفت يوم ١٩٨١/٨/١٥ مزيدا من تفاصيل الصفقة وقالت ان ايران تسلمت مؤخرا قنابل من صنع «اسرائيلي» لمدافع من عيار ١٠٦ ملم، واضافت ان القنابل من انتاج اسرائيلي نقلت الى ايران بطائرات تمتلكها مؤسسة اوروبية خاصة، وقالت المحطة الامريكية ان شحن الاسلحة من اسرائيل الى ايران مستمر بعد موافقة حكومة مناحيم بيغن على ذلك.

● ونسبت صحيفة الشرق الاوسط الصادرة في لندن الى ناطق باسم وزارة الخارجية التركية قوله: بان المعلومات التي اعطيت للمسؤولين الاتراك حول حمولة الطائرات كانت مغلوطة وغير صحيحة. وقالت الصحيفة ان سفينة حربية اسرائيلية توقفت قرب ميناء ليماسول القبرصي خلال شهر حزيران ١٩٨١ وكانت تحمل شحنات من الاسلحة والعتاد الى ايران، وقد وضعت احتياطات امن مشددة لمنع تسرب اية معلومات عن وجود السفينة.

• وفي ١٩٨١/٦/٢٩ وجهت صحيفة تانيكسارتستوس القبرصية رسالة الى الرئيس القبرصي تساءلت فيها عن كيفية السماح لكوماندوز صهاينة بالنزول في قوارب مطاطية قرب ميناء لياسول!!

• وفي يوم ١٩٨١/٨/٢٩ كشف ناطق قبرصي اسرارا جديدة عن صفقة الاسلحة فقال: في يوم ١٩٨١/٧/١١ هبطت الطائرة (الارجنتينية من نوع كانديرسي الـ ٤٤ في رحلتها المرقمة ٢٢٤) في مطار لارنكا قادمة من تل ابيب وغادرته الى طهران في نفس اليوم حاملة ٥٠ صندوقا زنتها ٦٧٥٠ كليوغراما. وفي يوم ٧/١٢ هبطت الطائرة نفسها في مطار لارنكا قادمة من طهران وغادرته الى تل ابيب وفي يوم ٧/١٣ هبطت الطائرة ثانية في لارنكا قادمة من تل ابيب وغادرته في وقت مبكر من صباح اليوم التالي ٧/١٤ ثم عادت إلى المطار في ظهر اليوم ذاته وغادرته إلى تل أبيب. ومنذ ذلك اليوم انقطعت اخبارها.

• وقبل يوم من اعتراف الناطق القبرصي اعلن رافسنجاني رئيس البرلمان الايراني بان الطائرة الارجنتينية كانت تنقل اسلحة الى طهران، وقد تحطمت بعد ان افرغت حمولتها وغادرت ايران.

ان كشف هذه الحقائق قدم وثائق جديدة وعملية تخدم تحليلنا للتحديات التي تواجه العرب وثبت بالملموس حتمية التقاء القوى المعادية للعرب في صف واحد، سواء بالعلن، او بالتوجهات، وهكذا فان التلاقي الصهيوني والفارسي في التوجهات المعادية للعرب وفي التعاون الفني والعسكري بهدف اضعاف العرب ليس مقطوع الجذور ابدا، بل يستند الى خلفيات تاريخية مشتركة بين الكيان الصهيوني والنظام الفارسي.

هوية التحدي الصهيوني:

لقد بات معروفا كيف ولدت الحركة الصهيونية من رحم الرأسمالية

العالمية، وكيف تجمعت مجموعة اليهود في اطار الحركة الصهيونية التي قادها هرتزل منذ عام ١٨٩٧، وراحت تطرح على مسامع الرأي العام العالمي (بأن لليهود حقا في فلسطين). وهذا يبيح لهم طرد شعب من ارضه والسيطرة على ممتلكاته بالقوة، وقد حسب الصهاينة منذ ان وطئت اقدامهم ارض فلسطين بانهم ارقى مرتبة عن باقي شعوب المنطقة، وبأنهم سيقيمون على ارض فلسطين «دولة متحضرة» في الشرق الاوسط. ولا دامة هذا الاعتقاد، فلا بد وان يظل الصهاينة اقوى من شعوب المنطقة كلها، وبالذات اقوى من العرب، من اجل ان يضمنوا ديمومة مصالح الامبريالية العالمية، وبقاءها في مواقع متقدمة لضرب اية قوة تظهر في المنطقة.

وقد زاد الاعتقاد الصهيوني هذا، الواقع الذي ينتهجه الاستعمار القديم بعد اتفاقية سايكس- بيكو عام ١٩١٦ والتي قسمت الوطن العربي عدة دول وانظمة، وسهلت عملية السيطرة الاستعمارية عليها. اذ سهل هذا الوضع على الكيان الصهيوني «اداة الامبريالية العالمية في المنطقة» خلال العقود اللاحقة على تأسيسه عام ١٩٤٨ الامساك بزمام الامور، والقيام بالاعتداءات ضد العرب وفق مقتضيات الظروف لهذا الكيان. وقد بدا واضحا خلال عقود الخمسينات والستينات تفوق الكيان الصهيوني، رغم قلة عدد سكانه، وصغر مساحته، في مجال التقنية وامتلاك اسلحة متطورة كالاسلحة التي تملكها الولايات المتحدة الامريكية، ويسعى قادة الصهاينة بشتى السبل الى بقاء معادلة توازن القوى في المنطقة لصالح كيانهم العنصري في فلسطين. وفي الوقت الذي بدأ العرب يتحركون باتجاه التطور وامتلاك ناصية العلم والتقنية المتطورة، اخذ قادة الكيان الصهيوني، يشعرون باختلال في الموازنة وبدأوا يعبرون عن هذا القلق بشتى السبل حتى وصل الامر بالاعتداء على المفاعل النووي العراقي في ٧ تموز ١٩٨١.

لقد بدا واضحاً امام الجميع ان العراق بلد لا يستهان بمساحته وعدد

سكانه وطاقاته الاقتصادية، وعلاوة على كل هذه المستلزمات، فقد قامت فيه ثورة متميزة في مبادئها القومية والاشتراكية، ومتميزة في نهجها الاستقلالي الحازم. وتمكنت هذه الثورة ان تخلق تجربة ثورية ناجحة تقف بجزم في مواجه الصعاب، والتحديات الخارجية. وفي ضوء هذا الواقع، بات الصهاينة والامبرياليون يتخوفون من هذا الوضع الجديد في العراق، ويدركون ان قطرا عربيا واحدا، بهذه المؤهلات والذي يملك هذه المستلزمات، قادر على تحقيق موازنة مع العدو الصهيوني لوحده، خلال سنوات معدودة وعلى هذا الاساس، فقد ازدادت شراسة التحدي الصهيوني حتى بات الكيان الصهيوني يعتبر ضرب العراق ضمن الاهداف التي تحقق أمنه، وبات يدرك الجدية في العمل العراقي، ويربط الصهاينة بين الاقوال والشعارات وبين الاعمال الصميمية، اذ بات بمقدور اي قطر صغير او منظمة محدودة ان تقول ما تشاء من الشعارات، وان تتكلم بصوت عال بكلام ثوري متعارف عليه، ولكن هذا الكلام لا يؤذي الصهاينة اذا ظل مجرد اقوال ولكن الصهاينة يدركون خطورة الدول أو القوى التي تقرن القول بالفعل، وهذا هو الحال بالعراق الذي يحافظ على مبادئه القومية والاشتراكية ويسعى بكل السبل الى بناء تجربة متميزة. وبفعل هذه التجربة بات العراق في مقدمة الدول والقوى التي تتصدى للتحدي الصهيوني الامبريالي في المنطقة ولانه جاء في هذه المواجهة، تعرض للعدوان الصهيوني الاخير، بهدف وقف تطوره في مجال امتلاك التقنية المتطورة.

هوية التحدي الفارسي:

ينطلق الفرس من عقدة تكاد تشبه عقدة اليهود الصهاينة، وينظرون الى انفسهم كأمة قومية [illegible] بل ينظرون الى الامة العربية نظرة متخلفة، ومن هذه النظرة العنصرية الشوفينية انطلق شاه ايران في بناء قوة عسكرية كبيرة، بحيث تؤهله للسيطرة على منطقة الخليج العربي، وبدلا من ان يسعى

الشاه لانفاق مليارات الدولارات على بناء مجتمع جديد في ايران ويحل المشكلات الاقتصادية، سعى الى خزن ترسانة من السلاح في بلاده قبالة الجبهة مع العراق، ولتنفيذ اهداف عدوانية ضد العرب وضد العراق في المقدمة. وقد بنى ١٤ مطارا على الجبهة مع العراق من اصل ١٧ قاعدة جوية في ايران كلها، اضافة الى العديد من محطات الاذاعة والتلفزيون الموجهة الى العراق والاقطار العربية الاخرى في منطقة الخليج العربي.

اهداف مشتركة:

مما تقدم يتضح بالنوايا ماذا يريد الكيان الصهيوني والنظام الفارسي من الوطن العربي، وماذا يضمران للعرب من مؤامرات. فكلاهما يهدفان الى السيطرة على قسم من الوطن العربي، ومن هذا الهدف يعملان ومنذ زمن على تفتيت الوطن العربي جغرافيا وطائفيا لتكريس التجزئة القطرية، ومنع العرب من تحقيق وحدتهم المنشودة. ولما كان الهدف واحدا لكليهما، فقد عمدا الى التعاون المشترك في شتى المجالات ايام الشاه المقبور، وايام حكم خميني الذي يلبس رداء الاسلام والاسلام منه براء للتستر على جرائمه، فلا غرابة ان تقوم علاقات وثيقة بين حكام طهران وتل ابيب منذ القديم وحتى الان.

فمنذ عام ١٩٦٥، وكما اعترف مناحيم بيغن، اقيمت علاقات متينة بين النظامين وقدم الكيان الصهيوني معونات فنية وعسكرية للمتمردين الاكراد جماعة العميل مصطفى البرزاني، والهدف هو ايذاء العراق، واشغاله عن اداء مهماته الوطنية والقومية، وقد تكرر الامر وبتنسيق محكم بين حكام تل ابيب وشاه ايران عام ١٩٧٣ وحتى انهيار الجيب العميل عام ١٩٧٥. وعندما جاء خميني الى السلطة في ايران، وتظاهر بمعاداة الكيان الصهيوني، واغلق سفارته في طهران، فقد كان عمله تظاهرة اعلامية لنيل الرضا من بعض العرب. وفي نفس الوقت لم يقطع نظام خميني علاقاته الفنية مع الكيان الصهيوني. وما ان

نشبت الحرب بين العراق وايران، حتى نشأت العلاقات الثنائية بين الطرفين، ووجد الكيان الصهيوني فرصته في نظام خميني الارعن بدفعه للاستمرار بالحرب، وتزويده بالاسلحة والعتاد الامريكي منذ الاشهر الاولى للحرب. وقد ظل امر هذا التعاون العسكري مخفيا حتى سقوط الطائرة الارجنتينية في الاجواء السوفيتية وانكشف امر نظام خميني، وظهور كل مؤشرات التلاقي الصهيوني- الفارسي في معاداة العرب ومعاداة العراق بالذات، والعمل على ايذائه بكل شكل ومنعه من التطور العلمي وامتلاك التقنية المتقدمة. وهكذا فان اشكال التحديات الفارسية الصهيونية متنوعة، ولكن هدفها واحد، ينحصر في اضعاف العرب، وتفتيتهم جغرافياً وطائفياً واختراقهم ثقافيا وفكريا. وازاء هذا الوضوح، فهل استفاق السادرون في غيهم وعرفوا طريق الصواب، ام انهم ارتضوا لانفسهم الذلة والهوان!!.

مقتربات التلاقي بين طهران- وتل ابيب

ما ان انتهت الحرب العالمية الثانية حتى سارعت الدول الكبرى المنتصرة لاهتبال حالة الغلبة والبدء بالانتشار في العالم ورسم خارطة وهمية لتقسيمات العالم بين الطرفين الدوليين.

وفي خضم هذا التنافس الشديد للسيطرة على بقاع العالم الغنية بمواردها الاقتصادية او التي تتمتع بمواقع استراتيجية على البحار والممرات وقعت منطقة الوطن العربي. وبالذات منطقة اسيا العربية.. ضمن المناطق المهمة المتنازع عليها.. وباتت كل دولة كبرى تعمل بشتى السبل لطرد نفوذ الاخرى من هذه المنطقة وتسعى لملء الفراغ فيها فقامت الاحلاف وانتشرت الاحزاب ووقعت انقلابات عسكرية لهدف تأمين الهيمنة لهذا الطرف او ذاك..

وقد وجدت الولايات المتحدة الامريكية بأن لا بد من تطويق المنطقة العربية الممتدة من البحر المتوسط وحتى الخليج العربي بالاحلاف كحلف بغداد مثلا او تطويقها بدول اعضاء في حلف شمال الاطلسي.. ورغم نجاحها بهذا العمل الا ان الادارة الامريكية سعت الى ايجاد قواعد قوية ترتكز عليها في المنطقة بهدف تامين مصالحها الحيوية وبالذات مصالحها الاقتصادية النفطية فيها.

ولتنفيذ هذا الهدف الكبير ولمنع الاطراف الدولية الاخرى من دخول المنطقة واستثمار خيراتها ساهمت الادارة الامريكية في خلق الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨ بهدف زرع خنجر مسموم في الجسم العربي يمنع معافاته ويمنع قيام وحدة عربية مستقبلا.

كما عملت الادارة الامريكية على تأمين الطرف الشرقي للمنطقة فوجدت في ايران البلد النموذج لتحقيق هذا الغرض ولتشكيل حاجز بوجه الاتحاد السوفييتي اذا ما اراد التقدم نحو منطقة الخليج.

وهكذا تكونت دولة للصهاينة على طريق تحقيق هدفهم الكبير بتشكيل دولة من الفرات الى النيل. وكانت دولة الامبراطورية الايرانية على الجناح الشرقي للمنطقة العربية. هذه الدولة التي ما تزال لها اطماع باستعادة امجادها باقامة امبراطورية فارس في منطقة الخليج. لم تكتف الاطماع الامريكية والصهيونية بهذا العمل لتطويق المنطقة العربية ومنعها من النهوض والتطور.. ولكنها شجعت الكيان الصهيوني وايران للعدوان على الاقطار العربية المجاورة بهدف اقتطاع اراضي منها على اضعافها ومنع تطورها وهذا ما حصل طوال السنوات الثلاثين الماضية.

فالكيان الصهيوني شارك في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ الى جانب بريطانيا وفرنسا كما قام بعدوانه على ثلاثة اقطار عربية عام ١٩٦٧ واقتطع أراضي جديدة منها وفرض سلطة الاحتلال عليها وضم بعضها إلى كيانه.

اما ايران فقد مارست ضغوطها لكي تقتطع مساحات من مياه شط العرب حول مدينتي عبادان والمحمرة.. والغت عشرات المرات العديد من الاتفاقيات

المبرمة مع العراق لهدف تحقيق اطماعها على حساب العرب. ولم تكتف السلطة الايرانية ايام الشاه بهذا بل تطاولت واحتلت الجزر العربية الثلاث في الخليج العربي وقدمت المساعدة للمتمردين الاكراد العراقيين بهدف اشغال العراق وتكوين دويلة ضعيفة في منطقة كردستان من العراق تكون تحت مظلمة احدى الدولتين الكبيرتين.

وفي بداية عقد السبعينات ومع بروز ما سمي بازمة وارتفاع اسعار النفط اشتد التنافس الدولي على المنطقة العربية وبات كل طرف دولي يبتكر خططا جديدة لمواجهة الطرف الاخر. ففي الوقت الذي بات الاتحاد السوفييتي يتحرك لكسب المزيد من الاصدقاء والاتباع في المنطقة سعت الادارة الامريكية لمنع الاتحاد السوفييتي من الوصول الى حيث منابع النفط. فكانت التجربة الاكبر في ايران.

لماذا ايران.. وفيها نظام حليف للولايات المتحدة وهي قاعدة ارتكاز قوية للادارة الامريكية؟

صحيح ان نظام الشاه كان ينفذ المخططات التي تنسجم او تتناغم مع الاحلام والاطماع خارج الحدود ولكن تطور النظام سياسياً واقتصادياً واجتماعياً بات يسير في اتجاه اخر حيث بات الشاه يفكر بالعظمة وبناء جيش امبراطوري عملاق وعمد الى شراء ترسانة حربية هائلة وكل هذا بات لا يشكل حالة تطمئن واشنطن المدفوعة بالذراع والفكر الصهيوني داخل الكونغرس الامريكي.

وفي عام ١٩٧٦ بدأ الكيان الصهيوني تنفيذ المرحلة العملية في المخطط الطائفي.. وكان لبنان ساحة الاختبار المرشحة لتكون مختبرا للعمل الطائفي في المنطقة. وقد ساهمت في اخراج هذا المخطط عدة اطراف عربية ولبنانية باشراف المخرج الصهيوني البارع وتعاقبت احداث المسلسل في لبنان الى ان

اصبح التفكير بلسان طائفي من الامور اليومية في الحياة العامة هناك. وما ان نجح العرب في الالتقاء على صيغة الحد الادنى في بغداد عام ١٩٧٨ لمواجهة كامب ديفيد حتى كانت بدايات المخطط على الجناح الشرقي تنفذ بدقة.. فقد تصاعدت الاضطرابات في ايران وبات الشارع الايراني يغلي.. احتجاجا على تردي الاوضاع الاقتصادية رغم ثراء ايران.. واحتجاجا على الدكتاتورية التي كان نظام الشاه يمارسها ضد الشعوب الايرانية واخيرا نصحته الادارة الامريكية بمغادرة البلاد.

كان ذلك في اواخر عام ١٩٧٨ الذي شهد اوسع اعمال العنف ضد الشاه. كان الخميني قابعا في العراق لا احد يعرف باسمه الى ان خرج الى فرنسا ليمارس نشاطه السياسي علنا... بعد ان منعته الحكومة العراقية من ممارسة نشاطه العلني بسبب التزام العراق باتفاقية الجزائر التي تمنع الطرفين من التدخل في شؤون بعضها البعض او الاساءة لاحد الطرفين.. وما بين تشرين من عام ١٩٧٨ واذار من عام ١٩٧٩ كانت الامور قد نضجت في ايران بالاتجاه المطلوب واصبح التيار الذي سلم من بطش الشاه سابقا هو المسيطر على الشارع الايراني.. وعاد الخميني الى ايران عقب رحيل الشاه ليصبح زعيم البلاد.. وليبدأ المخطط الذي رسم له. وتوجه هذا النظام وفق المخطط ليحارب العراق.. وكانت الاستفزازات التي ادت الى الحرب عام ١٩٨٠.

ماذا حققت الصهيونية وحلفاؤها من وراء تلك الحرب:

١- ضرب العراق عسكريا واقتصاديا في محاولة لوقف تقدمه.
٢- ضرب المنشآت النووية العراقية من قبل الطائرات الاسرائيلية والايرانية معا بهدف تاخير برنامج العراق النووي.
٣- احداث شرخ في العلاقات العربية ولا سيما بعد وقوف بعض الانظمة الى جانب ايران.

وهذه الاهداف المعلنة من قبل الخميني تضاف الى اهداف اكبر تتمثل باسقاط النظام في العراق وخلق دويلات طائفية فيه والسيطرة على ثرواته وتسخيرها للعمل الطائفي.

ان هذه الاهداف تلتقي مع التفكير والخطط الصهيوني الرامي الى اقامة دويلات طائفية حول فلسطين بهدف تقسيم البلاد العربية.

من هذا الاستعراض ندرك حقيقة التلاقي بين ايران والكيان الصهيوني اليوم رغم المواقف الدعائية المضادة لكل منها. وندرك لماذا يستمر العدوان على العراق رغم انه انسحب من الاراضي الايرانية وقبل بوقف اطلاق النار. وندرك لماذا يصعد من حملات العدوان على العراق في وقت يحتل جيش العدو الصهيوني ارض لبنان ويحاصر المقاومة الفلسطينية في مدينة بيروت. وما يجري لا يمكن تفسيره بالمصادفة او تلاقي المصالح ابدا.

ان ما يجري ليس الا تنفيذا لمخطط مرسوم.

12 ماذا وراء التحالف بين دمشق(*) وطهران

بعد ان تناقلت وكالات الانباء العربية والعالمية انباء القرارات الحاقدة التي اتخذها نظام حافظ اسد ضد العراق، اخذ المواطن العربي يتساءل مجددا.. لماذا هذه الاجراءات من قبل سورية ضد العراق ثانية؟! ولماذا هذه الاجراءات في هذه المرحلة بالذات وليس قبلها او بعدها مثلا..؟! ولماذا قطع انبوب النفط العراقي بعد اغلاق الحدود العراقية- السورية؟! ولماذا قطع

(*) كتب في ١٩٨٢/٤/٢٦ عقب قرار النظام السوري باغلاق الحدود العراقية- السورية، وقطع تدفق النفط العراقي عبر الانبوب المار فوق الاراضي السورية الى المتوسط، ومنع مرور سيارات الترانزيت الى العراق عبر سوريا.

الانبوب والحرب دائرة بين العراق وايران، ولا سيما ان تصدير النفط العراقي عبر الخليج العربي قد توقف منذ بداية الحرب عام ١٩٨٠..؟

اسئلة كثيرة، والإجابات عليها قد لا تكون صعبة في ذهن الانسان العربي.. ولكن تساؤلات الانسان العربي هذه المرة تكتنفها المرارة والاسى، لسوء ما وصلت اليه الاوضاع العربية، وتضاؤل الامل في تحقيق التضامن العربي، او تحقيق صيغة الحد الادنى من اللقاء العربي حسبما اقرته بنود مؤتمر قمة بغداد عام ١٩٧٨.

المواطن العربي يعرف او يتذكر، مثل هذه الاجراءات التي اتخذها نظام حافظ اسد ضد العراق منذ عشر سنوات فقد سبق ان اغلق الحدود اكثر من مرة، وقطع مياه نهر الفرات عن أرض العراق، وجعل ثلاثة ملايين فلاح بدون ماء، وسبق له ان منع مرور النفط عقب التاميم مباشرة، ما لم يدفع العراق اعلى اجر لمرور النفط.. وسبق لنظام حافظ اسد ان جند بعض المرتزقة في شمال الوطن لقيام باعمال تخريبية عام ١٩٧٤ كما جند بعض المرتزقة بالقيام باعمال التخريب داخل العراق، وضد شعب العراق.. وحشد جيش سورية اكثر من مرة على حدود العراق وحدود الاردن..

ونظام اسد ذاته هو الذي تحالف من قبل مع نظام الشاه ضد العراق مقابل قرض مالي، وهو الذي تحالف مع نظام خميني ضد العراق هذه الايام مقابل صفقة نفط.

كل هذه الاعمال وغيرها التي استهدفت مؤسسات العراق الدبلوماسية والاقتصادية، هذه الاعمال وغيرها تظل محور نقاش وتساؤل في ذهن الانسان العربي... ويظل السؤال قائما.. هل يستحق العراق كل هذه الافعال المشينة..؟! وهل فعل العراق فعلا سلبيا او سيئا ضد سورية ليستحق هذا

الجزاء..؟! والانسان العراقي والعربي معا، يتذكر جيدا ان العراق هب لنجدة سورية في اكثر من مرة، فهو الذي عرض على النظام في سورية الوحدة عام ١٩٧٢ ورفضها حافظ اسد.. والعراق هو الذي سمع بحرب تشرين من وسائل الاعلام العربية، وهب لنجدة اخوانه في سورية، ووصل في الوقت المناسب وقبل تمكين جيش العدو من تطويق دمشق واحتلالها... والعراق هو الذي عرض ان يكون عمقا استراتيجيا للجبهة الشمالية، وعرض ان يدفع بخمس فرق عسكرية الى جبهة المواجهة في سورية ضد العدو الصهيوني واحياء الجبهة الشمالية عام ١٩٧٦ ورفض حافظ أسد كل هذه العروض.. والعراق ذاته بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي سعى لانقاذ الوضع العربي المتدهور عقب زيارة السادات الى القدس المحتلة، ودعا لفتح صفحة جديدة مع سورية، وعقد مؤتمر قمة عربية في بغداد، ونجحت بغداد في استضافة المؤتمر وانجاحه وأوقفت التداعي في الصف العربي، نتيجة اتفاقات كامب ديفيد.. وسعى العراق لتحقيق الوحدة مع سورية، وبدلا من ان يفتح حافظ اسد قلبه لمن احتضنوه، مد يد الغدر، وطعن العراق في الظهر، ووقف مع المتامرين عام ١٩٧٩ لاسقاط التجربة الثورية في العراق.. ورغم انفضاح امر نظام حافظ اسد عقب هذه المؤامرة، فقد ظل العراق وفيا لالتزاماته القومية وواصل دفع الملايين من الدنانير للنظام السوري، والتي تم اقرارها في مؤتمر قمة بغداد.. وعندما نشبت الحرب بين العراق وايران، وقف نظام حافظ اسد فورا ضد العراق والى جانب الفرس.. هذه الوقائع يتذكرها الانسان العربي جيدا.. والعراقي بوجه خاص.. ولان ذاكرة الانسان العربي جيدة، يظل التساؤل مرا ومحزنا.. لماذا هذه الاجراءات من قبل نظام حافظ أسدا! وفي الوقت نفسه يستمع المواطن الى الادعاءات التي يبثها، ويجد العجب العجاب.. فهو يبرر غلق الحدود مع العراق، لمنع من يسميهم وزير داخلية نظام حافظ اسد بالمتسللين الى سورية ولمنع عمليات التخريب في البلاد.. وفي الوقت نفسه يدعو النظام الى اسقاط التجربة الثورية في العراق، ويتشدق حافظ اسد نفسه قبل شهر،

«بأنه عما قريب ستكون سورية والعراق وايران في خندق واحد.. وفي هذا الكلام كل التناقض، فمن جانب يدعى النظام انه اغلق الحدود لمنع المتسللين من العبور الى سورية والقيام باعمال تخريب كما يحلو له القول، ومن جانب اخر يريد ان يسقط التجربة الثورية في العراق..

فالنظام الذي يريد ان يسقط التجربة الثورية في العراق، هو نظام قوي ومسيطر ولا يحتاج الى مثل هذه الاجراءات، ولكن لماذا يغلق حدوده مع هذا النظام اذن؟!.

واذا كان غلق الحدود لمنع التسلل، كما يدعي، فكيف يفسر منع مرور النفط العراقي عبر الاراضي السورية ليصدر الى العالم ويستفيد منه شعبنا العربي في سورية ولبنان!! وهل بالامكان تمرير المخربين او المتسللين عبر انابيب النفط مثلا!!!

وعلاوة على ما تقدم فان المواطن العربي في سورية يسخر من هذه الادعاءات والتبريرات، ويتساءل هل تكمن مشكلة النظام في اعداد المتسللين من العراق ان صح هذا الادعاء!!! ام ان مشكلة النظام في ثورة الشعب السوري في حماة وادلب وحلب ضد الفساد والظلم!.

اذن: يخلص المواطن العربي بالاستنتاج التالي: ان نظام حافظ اسد لم يتخذ كل هذه الاجراءات لمنع حفنة متسللين، وان صح هذا الادعاء فانه بالمقابل قادر على تجنيد حفنة متسللين للتخريب في العراق، وقد فعل ذلك حقا، عندما جمع بعض المرتزقة، واعطاهم الاسلحة للقيام باعمال تخريب في شمال العراق.. فنظام حافظ اسد يعيش الحكم المهدد بالسقوط كعيش عقدة الحاكم الحبيس بين الاسوار. وفي الوقت نفسه يعيش عقدة الحقد على العراق وشعب العراق وجيش العراق. وكل انتصار يحققه العراق في مجالات البناء والاقتصاد والحرب يزيد من عقدة حافظ اسد، العاجز عن القيام بفعل خير لصالح الشعب، او تحرير شبر من ارض الجولان.

وكتعبير عن هذا الحقد ، نرى حافظ اسد مستعدا للتحالف مع الشيطان في سبيل اضعاف العراق وثورة العراق ، لانه لا يستطيع رؤية حكم بجانبه يحقق مثل هذه الانتصارات ، وهو يحمل ذات الشعارات. ولهذا السبب فقد عقد تحالفا استراتيجيا مع نظام خميني اثناء زيارة عبدالحليم خدام الاخيرة لطهران. والهدف مشترك ، هو تشديد الضغط على العراق عسكريا واقتصاديا ونفسيا ، ظنا من اقطاب هذا التحالف الشيطاني المدعوم من الكيان الصهيوني ، بانهم قادرون على اسقاط الحكم في العراق.

وهكذا يعتقد حافظ اسد ان اشتداد المعارك على جبهة المواجهة ، وقطع المواصلات عبر سورية الى العراق ، ومنع مرور النفط ، وتجنيد المرتزقة ضد العراق ، كفيل باحداث متغيرات في العراق لصالحه ولصالح قوى الشر والظلام.. فقد فات حافظ اسد جملة حقائق اسقطها من حساباته وابرزها:

- ان العراق يعيش ازهى عصوره ويشهد نهضة عارمة في شتى المجالات ، بينما يعيش نظاما خميني– اسد ، اسوأ الاوضاع وتشهد سورية وايران الفوضى والاضطراب والخراب ، والبطالة بينما يعيش العراق وحدة وطنية متينة.
- كل الشعب العراقي يلتف حول قائده وفارس النصر والتحرير المناضل صدام حسين ، وكل الشعب مستعد ان يفديه بالارواح في حين يختبيء حافظ اسد وخميني في اوكار محروسة ويخافون من هبوب الرياح الاتية من شعوبهم.
- العراق حقق انتصارا عسكريا منذ الايام الاولى للحرب وذاق حلاوة النصر ، وهو مستعد للحفاظ على روح النصر مهما كلف من ثمن في حين ما زال حافظ اسد يتجرع مرارة الهزيمة والخذلان.
- بات العراق بلدا مرموقا ومحترما على الصعيد الدولي ، وبات العالم يسلم بقيادة العراق لحركة عدم الانحياز نظرا للنضج الفكري والاقتدار العملي والعقلاني الذي يتمتع به العراق ، في حين يعش نظاما خميني واسد عزلة قاتلة في هذا العالم ، وتوترا مع معظم دول العالم.

ويبدو ان حافظ اسد قد غابت عن باله هذه الحقائق او انه يتوهم ان تضييق الخناق على العراق، ربما يؤدي الى بعض النتائج المرجوة في مخطط التحالف الشيطاني مع خميني.

ولكن العراق بكل قواه الوطنية وكل فئاته الذي قاوم التآمر والعدوان منذ اكثر من ثلاثة عشر عاما، وتصدى للمؤامرات وقهر المعتدين قادر على تفويت الفرصة على المتامرين الجدد في طهران- دمشق وتل ابيب. وان قيادة العراق التاريخية التي قادت الشعب من نصر الى نصر، هي التي ستقود الامة الى تحقيق الانتصار الكبير للامة وللعروبة.

اما افعال حافظ اسد المشينة الخارجة عن كل حدود الادب والحياء والالتزام بالتضامن العربي لا تؤثر في العراق فحسب، بل ستؤثر على شعبنا في سورية ولبنان والخليج العربي. وهذا الاضرار المتعمد بالشعب العربي، لن يمر بدون حساب، ولن تكون اجراءات حافظ اسد الا نقطة النهاية لنظامه.

لمصلحة من اجراءات النظام السوري ضد العراق؟

يظل السؤال قائما في اذهان المواطنين العرب.. لماذا أقدم حافظ اسد على الاجراءات الاخيرة ضد العراق..؟ اهو مجرد الالتزام بما تم الاتفاق عليه مع نظام خميني..؟! ام هو الحقد على العراق دفعه الى كل هذه الاجراءات..؟! واذا عرفنا ان حافظ اسد ونظامه يتقنان اللعبة السياسية، كما يتقنان المناورة والخداع داخليا وعربيا.. اذن: ما هو الثمن الذي قبضه حافظ اسد من وراء تلك الاجراءات ضد العراق.. اهو ثمن مادي فوري تم دفعه مقدما.. ام هو ثمن آخر ينتظره اسد..؟! ومن هي الجهة التي تدفع الثمن.. اهو النظام الفارسي وحده.. وماذا يملك مثل هذا النظام غير كمية محدودة من النفط الايراني المعروض للمقايضة دائما.. ام هي جهة اخرى.. ومن هي؟!!!

لقد بات من المسلم به، ان حافظ اسد حاقد جدا على العراق، وحاقد جدا على ثورة البعث في العراق وقد تصاعد حقده الى ان سبب له عقدة كبيرة تلازمه في حياته اليومية، وبسبب هذه العقدة، بات حافظ اسد لا يتورع عن تنفيذ فكرة او مخطط من شأنه ايقاع الاذى بالعراق او وقف مسيرته الصاعدة.

ومن صلب هذه العقدة المخزونة في قلب حافظ اسد، كان تحالفه مع ايران ضد العراق ايام الشاه وايام حكم خميني، وهذا التحالف لا تجمعه مصلحة وطنية أو قومية او انسانية ابدا، بل هو تحالف يجمع بين حاقدين على العراق، ويعملان على اضعافه عسكريا واقتصاديا وحضاريا.

فالتحالف مع النظام الفارسي سواء في عهد الشاه ام في عهد خميني، ليس من اجل مصلحة فلسطين كما ادعى حافظ اسد، فكلا النظامين عملا ضد قضية فلسطين، فمواقف الشاه معروفة من هذه القضية، ومواقف خميني الانتهازية معروفة ايضا، وتعرفها الاوساط الفلسطينية اكثر من الاخرين. وكذلك الحال مع نظام حافظ اسد الذي باع الجولان، ومنع الفدائيين من تنفيذ عملياتهم عبر الحدود السورية، وحجم نشاطهم في سورية وجعله تحت نظر ومراقبة المخابرات السورية، واخيرا احتلاله لبنان وايذاء المقاومة الفلسطينية تحت ستار (الردع) فالتحالف بين الطرفين تحالف العداء المشترك لطرف واحد فقط، لان نقاط الاختلاف بينهما كثيرة جدا، فهما لا يلتقيان دينيا ولا يلتقيان في التوجهات الداخلية، فحافظ اسد يضرب رجال الدين في سورية دون ان يثير حرجا لخميني، وفي نفس الوقت يتعامل خميني مع نظام حافظ اسد الذي يحمل في حكمه اسم (البعث) هذا الاسم الذي يثير الرعب في قلب خميني ونظامه معا.

ومع كل هذا.. هل يبرر الحقد المشترك على العراق، وتحالف خميني واسد، الاجراءات الاخيرة ضد العراق؟!! صحيح ان حافظ اسد يتمنى كل الشر للعراق ويسعى لايقاع الاذى به، الا ان حافظ يحاول ان تكون حساباته

دقيقة، كلما أراد ان يلعب لعبة سياسية جديدة، ولا سيما عندما يدخل الاقتصاد والمال عاملا في اللعبة او المخطط، وعليه فعندما يقدم حافظ اسد على اجراءات قطع الطرق بين العراق وسوريا ويمنع ضخ النفط العراقي عبر سورية الى بانياس وطرابلس فهو يعرف حجم الخسائر التي تلحق بسورية ولبنان جراء هذه الاجراءات. اضف الى ذلك انه يعرف كم هو الحرج الذي تسببه هذه الاجراءات له على الصعيد العربي الشعبي والرسمي.

وفي ضوء هذه المعرفة، فان حافظ اسد رغم عظم (شهوته) في ان يرى العراق يتضرر بأي شكل من الاشكال، الا انه لا يقدم على مثل هذه الخطوة الا اذا ضمن ثمنها المادي آجلا ام عاجلا فهل قبض (الاسد) الثمن ام ما زال ينتظر..؟!

من خلال معرفة تاريخ حافظ اسد فهو يرغب بان يقبض الثمن عاجلا او ان يقبض جزءا كبيرا منه على الفور، فماذا قبض اسد وبماذا ينتظر..؟!

بات من المعروف ان نظام حافظ اسد عندما تحالف مع الشاه عام ١٩٧٤ فقد قبض قرضا ماليا وصفقة تجارية وعندما تحالف هذه المرة مع نظام خميني فقد قبض الثمن ايضا من النفط الايراني، يرسل بواسطة البواخر الى السواحل السورية.

ولكن هل يشكل النفط الايراني كل الثمن.؟! وهل نعتبرها الرشوة السخية لدفع حافظ اسد اتخاذ اجراءاته الاخيرة ضد العراق...؟! واذا كانت الحسابات من الزاوية الرقمية فحسب فان الرشوة هزيلة جدا، لان نظام حافظ اسد يتقاضى قرابة ١٢٨ مليون دولار من عائدات مرور النفط العراقي عبر الاراضي السورية فقط اضافة الى الفوائد الاخرى من الاشتغال بتفريغ النفط وتحميله على البحر، واضافة الى النفط العراقي الذي يباع لسورية بسعر مخفض واضافة الى اشتغال قطاع كبير من ابناء سورية في البضائع وعلى طريق المواصلات مع العراق.. اذن فالرشوة الايرانية التي لم تصل كلها بعد

وتواجه مخاطر كبيرة اثناء شحنها تلك المسافات الطويلة، لا تشكل الثمن الفعلي لتلك الاجراءات الانتقامية.

فما هو الثمن الذي يبتغيه حافظ اسد اذن من وراء هذه الاجراءات..؟!

اولا يتضح لنا بان الاجراءات ليست مقطوعة الجذور عن اعمال ومخططات متفق عليها مع ايران، وربما تكون مع جهات دولية سواء بصورة مباشرة ام غير مباشرة.

وكما ظهر من التصريحات الصادرة عن المسؤولين في ايران وسورية، تتضح بعض معالم المخطط المشترك بين الطرفين.. فكلا النظامين صرحا بان العراق سينتهي. وبان العراق وايران وسورية في خط واحد، وتصريحات خامنئي واسد باتت واضحة ومفهومة، فالمخطط المشترك كان يقضي وما زال، احداث شرخ في الجبهة العسكرية لصالح ايران، واثارة المشاكل في الشمال من خلال بعض الخونة المدعومين من النظام السوري، ومحاصرة العراق اقتصاديا.. وهذه الخيوط الخفية في المخطط يعتقدها حافظ اسد وخميني كفيلة باسقاط التجربة الثورية في العراق. وهذا التصور هو الثمن الكبير الذي كان ينتظره حافظ اسد وشريكه في طهران.

وفي نفس الوقت، فلم تغب عن بال حافظ اسد النتائج الاخرى جراء ما فعله مؤخرا ولا سيما على الصعيدين الشعبي والعربي والرسمي، وبالمقابل فقد حاول نظام حافظ اسد ان يصور اجراءاته امام الشعب السوري بانها لمنع من اسماهم بالمتسللين من دخول سورية، اما على الصعيد العربي الرسمي.. فحافظ اسد كعادته يريد ممارسة ابتزاز كبير ضد بعض الاقطار العربية، وربما تهديدها من طرف خفي، وحتى يبعد الشك عن خيوط المخطط التآمري الذي يضطلع به النظام، فقد راح يصرح بان سورية مستعدة للدفاع عن الاردن ولبنان اذا تعرضتا لأي خطر صهيوني.

صحيح ان المظاهر على الاجراءات الاخيرة تدعى بانها وليدة صراع بين العراق وسورية، او هكذا يريد حافظ اسد ان يوهم الرأي العام بذلك، ولكنها ليست كذلك بل هي وليدة مخطط مدروس تقف وراءه قوى دولية كبيرة، وتوحي بتنفيذه على مراحل بواسطة طهران ودمشق وتل ابيب..

ان الهدف المركزي لهذا المخطط. الذي ظهرت بعض فصوله، في ضم الجولان الى الكيان الصهيوني، والمؤامرة الجارية في الضفة الغربية المحتلة، وجنوب لبنان، يتركز على اطفاء شعلة الكفاح العربي، واخماد جذوة القومية العربية وبالتالي اضعاف او انهاء قاعدة الكفاح المسلح للامة العربية تمهيدا لتسهيل عملية الحوار مع الكيان الصهيوني، واكمال مخطط التسوية القديم وترتيب اوضاع المنطقة العربية كما تشاء الامبريالية وارادة الدول العظمى.

وعلى هذا الاساس فالمخطط الذي يقوم بتنفيذه حافظ اسد بالتعاون مع حلفائه في طهران وتل ابيب، هو مخطط بريجنسكي الموضوع منذ عقد السبعينات لترتيب اوضاع المنطقة. والعراق يدرك خطورة هذه المؤامرة وسيبقى صامدا امام الخطر الشعوبي والمؤامرة الكبرى.

